هدهد سليمان
نحو تأويل بلاغي لمنطق الطير

إعـــــداد

د. نايف بن رشدان بن عتيق الهجلة

أستاذ الأدب والنقد المساعد بقسم اللغة العربية

بكلية العلوم والدراسات الإنسانية

جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية - حريملاء

تاريخ الاستلام: ١٣/١٢/ ٢٠٢٢ م

تاريخ القبول: ٢٧ /١/ ٢٠٢٣م

ملخص:

يشتمل القَصَصُ القرآني على أبعاد سردية بلاغية مهمة بتنوعاتٍ كثيرة؛ تلك التي من شأنها أن تُسهم في إذكاء الجوانب العقدية التعبّدية لدى قارئيه، فضلا عن التذوق الأدبي البلاغي الناتج عن إعجاز القرآن وفصاحته، والمتمثل في مستوياته البلاغية بحسب علوم البلاغة الثلاثة: المعاني والبيان والبديع؛ مما يزيد في إيمان المؤمن، أو يبعث على الإيمان ابتداءً، وعلى أقل تقدير أن يبعث الإعجاب ويدفع إلى إطراء القرآن والإشادة به، كما حدث ويحدث قديمًا وحديثًا.

أي أن هذه الأبعاد السردية البلاغية القرآنية تحمل أيضاً من الملامح البلاغية والنحوية والصّرفية والتركيبية والدّلالية قدرًا من شأنه أن يبرز المظاهر الإعجازية للقرآن الكريم.

وتجيب هذه الورقة البحثية عن سؤال الجوهر البلاغي لقصة هدهد نبي الله سليمان – عليه السلام – معيدةً تحليل، أو بالأحرى تأويل البنيات البلاغية لمنطق الطير، واستكشاف الخصائص الإعجازية التي يقدِّمها تركيب الآيات، وأنساق التحاور الأفقي والعمودي بين نبي الله –عليه السلام– وسائر أطراف القصة القرآنية.

إن هذا التحليل البلاغي لمنطق الطير ليكشف عن سلسلة من النتائج التربوية والتواصلية والسياسية التي وردت في الآيات الكريمة – موضوع الدّراسة– ومن خلالها يمكن توسيع النقاش البلاغي التأويلي لقصص القرآن؛ لينفتح – من ثم – على موضوعات قديمة في كتب تفسير القرآن؛ ولكنها حديثة ومعاصرة في معالم التحليل التأويلي لبلاغة القصص القرآني في كلام الله المعجز.

الكلمات المفتاحية: منطق الطير، التأويل البلاغي، المنحى التحاوري، الهدهد، سليمان.

Abstract:

Qur'anic stories include important rhetorical narrative dimensions with many variations. Those that would contribute to raising the devotional aspects of creed, as well as the literary rhetorical taste resulting from the inimitability and eloquence of the Qur'an, which is represented in its rhetorical levels according to the three sciences of rhetoric: Al-Ma'ani, Al-Bayan and Al-Badi'; What increases the believer's faith, or encourages faith in the beginning, and at the very least, is admiration and motivates him to praise and praise the Qur'an, as happened and is happening in the past and recent times.

In other words, these Qur'anic rhetorical narrative dimensions also carry some rhetorical, grammatical, morphological, structural and semantic features that would highlight the miraculous manifestations of the Holy Qur'an.

This research paper answers the question of the rhetorical essence of the story of the hoopoe of the Prophet of Prophet of Allah Solomon be upon him - by re-analyzing, or rather, the interpretation of the rhetorical structures of the bird's logic, and to explore the miraculous properties offered by the installation of verses, and the formats of horizontal and vertical dialogue between the Prophet of Allah - peace be upon him - and the other parties to the story Quranic.

This rhetorical analysis of the bird's logic reveals a series of educational, communicative and political results that were mentioned in the noble verses - the subject of the study - and through which it is possible to expand the interpretive rhetorical discussion of the stories of the Qur'an; To open - then - to old topics in the books of interpretation of the Qur'an; But it is modern and contemporary in the features of the hermeneutic analysis of the rhetoric of the Qur'anic stories in the miraculous words of Allah.

Keywords: the logic of the bird, rhetorical interpretation, the dialogue approach, the hoopoe, Solomon.

مقدمة:

إن التأويل البلاغي لمنطق الطير يفتح قراءتنا على تأويلات معجمية ونحوية وصرفية وتركيبية ودلالية، ويسمح لنا بقراءةٍ تستوعب خصائص النّص القرآني، ومظاهر إعجازه البلاغي والعلمي، وهذا ما يستدعي خلفية ومرجعية دينية تراعي سياق النّص والحدث، وخلفية أخرى لغوية تلمّ بالمقومات البلاغية على مستويَي اللغة والدّلالة؛ وثالثة علمية أحيائية تحيط بعلم الحيوانِ والطّيور، مُستحضرة علوماً تجريبية نُفَسّر على ضوئها بعض خصائص منطق الطير؛ وخلفية رابعة لها طابع ثقافي بالأساس، نَستكشف من خلالها الرمزيات الإيحائية للهدهد عند مختلف الثقافات، لكن ذلك لن يتم دون فتح من الله وعون منه:

إذا لم يكنْ عونٌ من الله للفتى فأوّلُ مايقضي عليه اجتهادهُ

منطق الطير:

تناول القرآن الكريم أربعة أنواع من الطير: أبابيل، والسلوى، والهدهد، والغراب؛ حيث أتى ذكر طير أبابيل (التي هي طيور أرسلها الله من السّماء) عقابا لأصحاب الفيل، ونزلت السلوى جزاء عطاء، وأُرسل الغراب مُعلّما ومرشدا للدفن، أما الهدهد فكان ذكره في محكم آياته داعية للتوحيد ومخبِرا سليمان بحدثٍ عظيم، ومفسرا لمعنى منطق الطير.

ويعرّف الهدهد علميا بأنه «طير له عرف مميز على رأسه، بني فاتح اللون وعرفه البني مرقط من أطرافه بالريش الأسود ونصفه الأسفل أسود مرقط بالريش الأبيض، وقد اختلفت المنظورات الثقافية إلى طير الهدهد، على مر التاريخ؛ ابتداء من الإغريق الذين تعاملوا معه على أنه عقاب، كما عند «الكاتب أريسطوفانِس في مسرحيته الساخرة «الطيور»[1].

وإذا كان بعض الدارسين يظن أن النص القرآني قد بلغ غاية دلالاته، وفُسرت آياته ووضحت أحكامه وانتظمت قراءاته بجهود المفسرين – قديماً وحديثاً –، الذين انطلقوا من اتجاهات شتى في بيان دلالة النص القرآني بأبعاده المختلفة، النصية الإرشادية، والبلاغية الإعجازية، واللغوية النظامية، والفقهية الشرعية، والمجمل والمفصل، والمحكم والمتشابه، والناسخ والمنسوخ، والقصص والعبر والعظات، ونحو ذلك، فإن طبيعة النص القرآني تأبى مثل ذلك الظن؛ لأن القرآن الكريم قد حث دارسه على التأمل والتدبر والنظر المستمر الذي لا يعرف التوقف عند حد معين، ولا يقتنع بفكرة واحدة قد تقيد النص وتحجم من طرق الاستنباط له قال تعالى: ﴿أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ [محمد: ٢٤]، وقال أيضًا جل وعلا: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ﴾ [القمر: ٢٢].

وانطلاقا من كون النص القرآني يحمل دلالات متعددة، ونوافذه للتأويل مشرعة؛ حين يستحيل كلاماً متشظِّيَ الدلالات، متسع المعاني، مفتوحًا ممهداً لطرق الاستنباط والتأويل الموضوعيين المرتبطين بطبيعة النص القرآني من حيث بنيته وأنظمته ورؤاه ومستودعه المعرفي والإنساني، انطلاقًا من ذلك كله فإن التأويل البلاغي لمنطق الطير يفتح قراءتنا على تأويلات معجمية ونحوية وصرفية وتركيبية ودلالية، ويسمح لنا بقراءةٍ تستوعب خصائص النّص القرآني، ومظاهر إعجازه البلاغي، وهذا ما يستدعي خلفية ومرجعية دينية تراعي سياق النّص والحدث، وخلفية أخرى لغوية تلمّ بالمقومات البلاغية على مستويَي اللغة والدّلالة.

تجيب هذه الورقة البحثية عن سؤال الجوهر البلاغي لقصة هدهد سليمان، معيدة تحليل البنيات البلاغية والتأويلية لمنطق الطير، واستكشاف الخصائص الإعجازية التي يقدّمها تركيب الآيات وأنساق التحاور الأفقي والعمودي بين سليمان عليه السلام وسائر الأطراف في القصة.

وتزخر قصة سليمان عليه السلام والهدهد – التي ورد ذكرها في سورة النمل– بمشاهد عجيبة خارقة للعادة تعكس عظمة قدرة الله تعالى الذي مكن هذا النبي الكريم من قدرات التواصل والتفاهم مع الطير والحيوان والجن والريح، مع تسخيرها له تأتمر بأمره وتنتهي بنهيه.

ومن المهم معرفة أن هذه الورقة البحثية تهدف إلى بيان الوشائج بين البلاغة والتَّأويل في قصة سليمان عليه السلام والهدهد، على مستويات في: الأدب، واللُغة مبنى ومعنى، وقد اتسع فيها إهاب البلاغة التأويلية وانتظم في أعطافها: الدِّقة والموضوعيَّة، وجمال الخيال الأدبي، والتي تؤول بأن الهدهد كان يحمل قلبًا مفعمًا بالإيمان وبوحدانية الله ليس في توحيده دخن ولا نقص، ولا في إيمانه خلل، ويحمل عقلًا واعيًا ولسانًا حكيمًا، ولو أنّ ما قاله الهدهد قد صدر من إنسان لأشاد الناس بحكمته وببعد نظره، ودقة تجاربه، وعظيم منطقه، فكيف بنا، وهذا الكلام يصدر عن هدهد ورد ذكره في كتاب الله، وسخره الله لنبيه؟ إنها قدرة الله الذي أنطق الطير، وأشهده على عظيم قدرته، وبالغ حكمته.

تمثل منطق الهدهد في حمله الرسالة وإنكاره الشرك بالله ثم إبلاغه عن هذا الانحراف ووصفه لهم بعدم الحكمة إذ لم يستبينوا إلههم الحقيقي المعبود دون شريك من مخلوقاته ثم دقته وأمانته في النقل، بل ثقته في إنكار سليمان عليه السلام لهذا الموقف ويقينه بعدم علمه به.

تمهيد: مفهوم التأويل في النص القرآني

التأويل، من الأوّل، أي: الرجوع إلى الأصل، ومنه: الموئل للموضع الذي يُرجع إليه، فالتأويل رد الشيء إلى الغاية المرادة منه[٢]. ونعني بردها إلى الغاية المرادة منه الجمع؛ أي جمع المحكم مع متشابهه. كما يقال: أُلتُ الشي بمعنى جمعته وأصلحته، وأبو منصور صاحب تهذيب اللغة يعرف التأويل على أنه: «جَمْع معانٍ مُشكلة بلفظ واضح لا إشكال فيه»[٣].

فـ «التأويل»- في العربية-: يشمل معاني:

- **الرجوع والعاقبة:** «آل الشيء يؤول أولا ومآلا رجعه»[٤].. قال الله تعالى: ﴿هل ينظرون إلا تأويله﴾ [الأعراف: ٥٣]؛ أي ما يؤول إليه في وقت بعثهم ونشورهم[٥]
- **التفسير:** يقال «أول الكلام وتأوله: فسره»[٦]، وعن الخليل: «والتأول والتأويل تفسير الكلام الذي تختلف معانيه»[٧].
- **الإصلاح:** «ألت الشيء: جمعته وأصلحته، فكأن التأويل جمع معان مشكلة بلفظ واضح لا إشكال فيه»[٨].
- **السياسة:** «آل الرعية يؤولها إيالة حسنة وهو حسن الإيالة»[٩].

والمعنى الثاني (التفسير) هو المقصود في هذا البحث.

أما «التأويل»- في الاصطلاح-: فعند علماء السلف من أهل العربية والتفسير والحديث يرادف التفسير، وهو ما درج عليه البخاري في صحيحه؛ كقوله: «باب تأويل قول الله تعالى من بعد وصية»[١٠].

وكذلك الطبري في تفسيره؛ حيث يردد عند تفسير كل آية عبارة: «القول في تأويل قوله تعالى»[١١]، ثم يشرع في تفسيرها، وعبارة: «قال أهل التأويل كذا»؛ فيسرد أقوال المفسرين. وقد ظهر مذهب حمل التأويل على التفسير واضحا في عناوين مدونات التفسير القديمة؛ كـ «جامع البيان عن تأويل آي القرآن» للطبري، وكتاب

«أسرار التنزيل وأسرار التأويل» للبيضاوي، و«الجامع لأحكام القرآن» للقرطبي، وغيرها.

أما عند المتأخرين فالتأويل عندهم بالمعنى الأصولي، قال ابن تيمية: «التأويل- في اصطلاح كثير من المتأخرين- هو صرف اللفظ عن الاحتمال الراجح إلى الاحتمال المرجوح لدليل يقترن بذلك»(١٢).

ولابن حزم تعريف مفصل للتأويل ضمنه شروطه، يقول: «التأويل نقل اللفظ عما اقتضاه ظاهره وعما وضع له في اللغة إلى معنى آخر؛ فإن كان نقله قد صح ببرهان، وكان ناقله واجب الطاعة فهو حق، وإن كان نقله بخلاف ذلك اطرح ولم يلتفت إليه»(١٣).

وهو ما يحيلنا إلى رفض توجه وأفكار أولئك الذين حاولوا التغريب في البلاغة العربية المعاصرة ممن ينزعون إلى تجريد النص من قائله – المبدع على حد تعبيرهم- ثم التلاعب به وتحميله ما لا يحتمل مما يظنه المتلقي.. وذلك لأن القرآن وهو كلام الله لا يبيح هذا، ولأنه فعل الباطنية الذين يحرفون معاني القرآن لتوافق مذاهبهم الهدامة.

فالتأويل الذي نعنيه هنا -وإن كان تأويلا بلاغياً- هو الربط بين الأشياء بعلاقة مباشرة تجعل بعضها مشابها لبعضٍ، وعلى هذا يكون التأويل بين المتشابهات هو نهج سليم للتعرف على الحقائق وإدراك المعاني، ولعبت الأفكار المسبقة والمذهبيات دورًا في التوسل بالتأويل للحديث عن أفكارها، فالمعتزلة سعوا إلى أن يجعلوا التأويل قانونًا يرجع إليه، وقامت فرقٌ أخرى بافتعال تعارض متوهم بين الوحي والعقل(١٤).

وهذا التأويل السليم لا يخرج لا بالقرآن ولا بتأويله عما يقرره مفسرو السلف من الصحابة والتابعين وأئمة التفسير؛ كالطبري والبغوي وابن كثير وأضرابهم، ومن شذَّ من المفسرين في بعض الأبواب؛ كالزمخشري وغيره، لا يتابع على تأويله المذهبي، بل يرد عليه بمذهب السلف، ويتابع على ما وافقهم فيه.

القراءة التأويلية لقصة سليمان مع الهدهد:

إن قصة سليمان عليه السلام مع الهدهد قصة عجيبة، فهي موافقة للعقيدة الربانية، مخالفة للعادة البشرية، فالبشر لا يفقهون كلام الطير، ولا النمل، ولا غير ذلك مما لم يطلعنا الله على لغاتهم ولم يعلمنا إياها، ولذا مهد القرآن الكريم لهذه القصة بأن الله عز وجل امتن على سليمان عليه السلام بأن علمه منطق الطير قال تعالى: ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُودَ ۖ وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ الطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَيْءٍ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ. وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾ [النمل: ١٦-١٧].

فقدم تعليم منطق الطير على كل شيء؛ إلماحًا إلى هذه النعمة العظيمة والفضل المبين، وأخّر الطير في عداد الجند باعتباره أضعف أصناف ذلك الجند وتلك المجموعة، وهذه المقدمة هي ترويض لقبول القصة القادمة مع الهدهد والتي سيترتب عليها إسلام مملكة بأكملها، وسيكون للهدهد فيها فضل العثور على تلك المملكة، وفضل إيصال الرسالة إلى الملكة، وهكذا القرآن الكريم لا يفاجئنا بما لا عهد لنا به حتى يضع بين أيدينا ما نأنس معه بقبوله.

وعليه فإن المنطق ليس مجرد أداة للكلام أو الحواس بقدر ما هو نظام مرتبط بالعقل أكثر من اللسان والثغر؛ فالمنطق هو توافق الرأي مع الواقع والنطق به والتعبير عنه، وقد أثبت الهدهد ذلك بتعجبه، ونقل ذلك الخبر المجافي للفطرة، والمخالف للواقع؛ وصادق على سلامة منطقه حين قال لسليمان بما جاء في قوله تعالى: «ألا يسجدوا لله الذي يخرج الخبء في السموات والأرض ..»؛ فقد أعاد الحدث إلى الواقع، وربط الأفعال بأصولها والوسائل بغاياتها.

لقد كان الهدهد أحد جنود سيدنا سليمان عليه السلام، وكان النبي سليمان من عادته أنه يتفقد جيشه من الجن والإنس والطير بين حين وآخر، وفي أحد الأيام وأثناء تفقد سليمان للطير لم يقع بصره على الهدهد، فتساءل: ﴿مَا لِيَ لَا أَرَى الْهُدْهُدَ أَمْ

كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ﴾ [النمل: ٢٠]، وكشأن الحاكم الصارم العادل، توعد سليمان عليه السلام الهدهد بالعقاب حتى يأتي بحجة تبرر حقيقة تخلفه وأنه لم يكن إهمالا، ولا تقصيرا، ولا خروجا على الطاعة الواجبة لولي أمر، يقول الله تعالى على لسان سليمان: ﴿لأُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لأَذْبَحَنَّهُ أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ﴾ [النمل: ٢٠-٢١]. لأنه لم يرسله في أمر، ولم يستأذنه ولم تطل غيبة الهدهد، فمكث غير بعيد، وجاء إلى سليمان عليه السلام، واثقًا من قيامه بواجبه، الذي كان سببًا في غيابه، وكانت المفاجأة التي أطلقها الهدهد، وحملت عذر غيابه، ذلك الخطاب الذي وجهه إلى سليمان عليه السلام: ﴿أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ﴾ [النمل: ٢٢]، الهدهد صادق على بشرية سليمان وإنه مهما بلغ من العلم، فإن الحقيقة الدائمة: ﴿... وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ..﴾ [يوسف: ٧٦]، مثلما صادق الخضر على آدمية موسى في عدم صبره واحتماله لعلم الخضر.

يكشف هذا الأسلوب في الخطاب عن بديع صنع الله، ولطيف حكمته، فسليمان الذي آتاه الله ملكًا وعلمًا وحكمًا، يأتيه الهدهد ليخاطبه بوضوح وثقة: ﴿أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ﴾، فإن ملك سليمان غير علم سليمان!

ووجود مملكة كاملة بعيدة عن سليمان عليه السلام لا يمثل جهلًا بالشيء، ولكن عدم علمه بهم وبما كانوا يمارسون من عبادة خاطئة دله على ذلك طائر له عقيدة ومنطق صحيحان، لذلك يسترسل الهدهد متعجبًا مما رآه في مملكة سبأ فرغم أنهم أوتوا من كل شيء، وبلغوا في التقدم المادي شأنًا عظيمًا إلا أن امرأة تولت أمرهم فهي تحكمهم: ﴿إِنِّي وَجَدتُّ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ﴾. فقدم ذكر المرأة على الرجال ليعبر بفطرته عن مدى دهشته، وتعجبه من هذا الأمر الغريب».، وجاء التعبير بتملكهم عوضاً عن تحكمهم لبيان شدة تبعيتهم لها وتحكمها في أمرهم.

لقد زاد من تعجب الهدهد انحراف أهل سبأ عن عبادة الخالق إلى عبادة المخلوق؛ حيث عبدوا الشمس التي سخرها الله من أجلهم: ﴿وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ

لِلشَّمْسِ مِن دُونِ اللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ﴾ [النمل: ٢٤].

واستمر الهدهد في إخباره – وهو غاضب – عن قوم سبأ الذين زين لهم الشيطان أعمالهم: ﴿أَلَّا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ﴾ [النمل: ٢٥]، ثم أقر بالوحدانية لله رب العرش العظيم، فجهر بتوحيد الله من غير تعطيل ولا تأويل ولا تكييف؛ فقال: ﴿اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾ هدأت نفس سليمان عليه السلام أمام حديث الهدهد المفاجيء وغيابه المحوج إلى صحة المعلومة، فلا يستطيع الآن أن ينزل به العقاب، كما لا يمكن تبرئته بمجرد أقواله، إذ لا بد من التحقق؛ رغم صحة المنطق وسلامة المعتقد، لكن ذلك لا يدفع الآمر بالتسليم حتى لذوي المنطق فالعدل تشريع سماوي ومطلب حياتي، فإما أن يأتي الهدهد بدليل صدق على ما يقول فتبرأ ساحته ويُكرَّم، وإما أن يعجز عن إقامة الدليل فينفذ فيه الوعيد: ﴿ قَالَ سَنَنظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ. اذْهَب بِكِتَابِي هَذَا فَأَلْقِهِ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَانظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ﴾ [النمل: ٢٧-٢٨].

لقد أصبح الهدهد من تلك اللحظة سفيرًا أميناً مؤتمناً للملك النبي يذهب بالأخبار ويجيء بها، وكان له دور عظيم لا يمكن أن يقوم به بشر، ويذهب الهدهد- هذه المرة – مكلفًا من قبل سليمان عليه السلام ليستطلع حقيقة الأمر، وينفذ الهدهد المهمة، فيلقي كتاب سليمان إلى الملكة، وينفذ أمر قائده بإحكام، فيختفي عن الأنظار- أنظار الملكة وقومها- ولكنه يراقبهم، ليرى ما سيكون منهم عملا بأمر سليمان عليه السلام: ﴿ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَانظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ﴾ [النمل: ٢٨].

ويرجع الهدهد إلى سليمان عليه السلام، ليخبره بما شاهده، ناقلًا إليه الحوار الذي دار بين الملكة وقومها، وما عزمت على فعله من تقديم الهدايا إلى سليمان عليه السلام، الأمر الذي جعله يعد لكل شيء عدته.

المبحث الأول
التأويل البلاغي في قصة سليمان مع الهدهد دقة التعبير:

تنفرد العربية عن اللغات الحية بوفرة الألفاظ الدالة على الشيء منظورًا إليه في مُختلف درجاته وأحواله وصور ألوانه، وهي ما تعرف بدقة التعبير من حيث اختيار اللفظة المفردة، ومكانها في التركيبب.

واللغة العربية تقوم في خطابها على اختيار الألفاظ المعبرة التي تقوم بأداء المعنى المراد، فغزارة مفردات العربية تجعل كثيرًا من العلماء والنقاد يرون الترادف فيها، بينما الأشهر أن لكل لفظ دوره في أداء المعنى، وإن استعمل مجازًا، أو تجوزًا، لما يؤديه غيره، فلكل لفظة دورها في أداء المعنى وإن لم يفصل بينها وبين أختها إلا شعرة(١٥).

وإذا كان العرب – وهم أولو بلاغة وبيان – يحسنون اختيار ألفاظهم اختيارًا دقيقًا لتكون ألصق بأداء المعنى، وألطف وأشمل، فإن القرآن الكريم الذي هو كلام الله تعالى، وأنزله ليكون معجزة رسوله الأمي الأمين محمد – صلى الله عليه وسلم – من باب أولى في اختيار اللفظة المعبرة المؤثرة، لتكون أدق من غيرها في أداء المعنى حتى إنك مهما حاولت أن تضع غيرها مكانها مما يشاركها في المعنى فإنك ستجد ذلك لا يتوافق مع المعنى المراد في الآية الكريمة من القرآن الكريم(١٦).

وقد تحدث علماء البلاغة والبيان عن أثر اللفظة المفردة في أداء المعنى، وذلك حسب دقة الاختيار، والانتقاء.

«ومن عجيب ذلك أنك ترى لفظتين تدلان على معنى واحد، وكلاهما حسن في الاستعمال، وهما على وزن واحد وعدة واحدة، إلا أنه لا يحسن استعمال هذه في كل موضع تستعمل فيه هذه، بل يفرق بينهما في مواضع السبك، وهذا لا يدركه إلا من دق فهمه وجل نظرة»(١٧).

وتخيّر الألفاظ وإبدال بعضها من بعض «يوجب التئام الكلام، وهو من أحسن نعوته وأزين صفاته، فإن أمكن مع ذلك نظمه من حروف سهلة المخارج كان أحسن له وأدعى للقلوب إليه، وإن اتفق له أن يكون موقعه في الإطناب والإيجاز أليق بموقعه، وأحقّ بالمقام والحال كان جامعًا للحسن، بارعًا في الفضل، وإن بلغ مع ذلك أن تكون موارده تنبيك عن مصادره، وأوّله يكشف قناع آخره، كان قد جمع نهاية الحسن، وبلغ أعلى مراتب التمام»(١٨).

والقرآن الكريم أولى بهذا الوصف للألفاظ، وأجدر بهذه النعوت حيث «تتميز المفردة القرآنية بمميزات رئيسة:

١- جمال وقعها في السمع. ٢- اتساقها الكامل مع المعنى.

٣- اتساع دلالتها لما لا تتسع له عادة دلالات الكلمات الأخرى، فقد نجد في أسلوب بعض الأدباء كالجاحظ والمتنبي بعض هذه المميزات، إما أن تجمع كلها معاً، وبصورة مطردة لا تختلف أو تشذ، فذلك مما لم يتوافر إلا في القرآن(١٩).

قصة سليمان عليه السلام مع الهدهد هي قصة قرآنية لا تخرج عن كمال القرآن وجماله، فاللفظة المفردة فيها لها وقعها الجميل المؤثر في ذاتها والنطق بها، وكذا في سياق تركيبها مع غيرها.

ودقة التعبير في القرآن الكريم تأتي من خلال اختيار اللفظة المفردة وبنائها، وتأتي من حيث التركيب وهو انضمام بعض المفردات إلى بعض في بناء الجمل أو ما يعرف بالنظم.

يقول الشيخ عبد القاهر: «إذا فكرت في قوله تعالى: ﴿وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاءُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [هود: ٤٤]، فتجلى لك منها الإعجاز، وبهرك الذي ترى وتسمع، أنك لم تجدْ ما وجدت من المزية الظاهرة، والفضيلة القاهرة، إلا لأمر يرجع إلى ارتباط هذه الكلمات بعضها ببعض، وإن لم يعرض لها الحسن والشرف إلا من حيث

لاقت الأولى بالثانية، والثالثة بالرابعة، وهكذا.. إلى أن يقول: أفترى لشيء من هذه الخصائص التي تملؤك بالإعجاز روعة، وتحضرك عند تصورها هيبة تحيط بالنفس من أقطارها تعلقًا باللفظ من حيث هو صوت مسموع، وحروف تتوالى في النطق، أم كل ذلك لما بَيْنَ معاني الألفاظ من الاتساق العجيب»[٢٠].

قال تعالى: ﴿وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ﴾ [النمل: ١٧]، يدهشنا البيان القرآني المحكم في التعبير، فينقلنا إلى المشاهد وكأننا بين يدي نبي الله سليمان عليه السلام وكأننا نشاهد معه تفقده الطير المعبر عن الحدث المغرق في الزمن الماضي بهذه الدقة في التعبير العجيب! إنه تصوير بالكلمات والصيغ والعبارات.. تفقّد الطير! ما غاب عنك؛ فقد فقدته، وما حضر فقد طلبته، يا لدقة التعبير وجمال التصوير!

وبصيغة (التفعُّل) الدالة على الحرص والقوة في البحث والتمحيص ﴿ تفقَّدَ﴾ إشارة إلى القيادة المسؤولة التي تتفقد رعيتها وتتابع ما يدور حولها، طير صغير في مملكة ملك عظيم من إنس وجن وعوالم من المخلوقات[٢١]!

إنها القيادة اليقظة المتنبهة المتتبعة لكل شؤون رعيتها، تتفقد الطير بأجناسها المتنوعة المختلفة المتعددة! ولم يكن النبي سليمان يحوجه التفقد لزمن طويل بل أسهمت الفاء في الإشارة إلى سرعة الانتباه؛ فقال: ما لي لا أرى الهدهد؟ بهذه الطريقة الذكية الفطنة في التعبير! وإشاراتها الدقيقة ضمن سمات القيادة الحكيمة في التفكير.

وفي ذكر الطير هنا بالإفراد دون سائر المخلوقات –التي جندها الله له– إشارة كاشفة عن تفقده للإنس؛ فلم يجد أحداً منهم غائبا، وتفقده الجن كذلك، ثم الطير، بدلالة المعنى من السياق في ذكر حشر الجند له، في قوله تعالى: ﴿ وَحُشِرَ لِسُلَيۡمَٰنَ جُنُودُهُۥ مِنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ وَٱلطَّيۡرِ فَهُمۡ يُوزَعُونَ﴾ [النمل: ٢٠] على الترتيب المذكور، وهذا من الإيجاز البليغ الذي لا نجده إلا في القرآن الكريم!

وإنما تحقق هذا لأن البيان المحكم ضرب صفحًا عن ذكر ذلك؛ لشد الانتباه إلى موضع العناية من تفقده الطير؛ ولاكتشاف غياب الهدهد، ثم تتوالى حبات الخرز في عقد النظم وتتماسك في سرد الأحداث الجسام، التي ترتبت على ذلك، بهذا السبك البياني العجيب! ﴿ فَقَالَ مَا لِيَ لاَ أَرَى ٱلْهُدْهُدَ﴾ وأوجز البيان المحكم البديع كلاما يفهم من السياق، (فلم ير الهدهد فقال) والبلاغة الإيجاز، والقرآن يعرج بالأفهام ويوجز ما يفهمه الفكر من نظم الكلام، وذلك هو الارتقاء بالعقول والأفكار في تذوق فن القول، ومعجز البيان، ذلك أنه اختصر من الكلام لحظة دهشة نبي الله سليمان ﴿مَا لِيَ لاَ أَرَى ٱلْهُدْهُدَ﴾، وفي الفاء دلالة المسارعة ونباهة الملك وقوة العارضة واليقظة(٢٢).

وفي دقة النظم ﴿ وَتَفَقَّدَ ٱلطَّيرَ﴾ تقوية للفعل وتسليطه على جنس الطير؛ ليشملهم طائرًا طائرًا؛ ليجمع بين الدلالة المعجمية وقوة الصياغة الاشتقاقية، للدلالة على قوة التطلب والتفحص وإجالة النظر وتكراره بدقة.. ولما كان التفقد لما غاب وفُقِد؛ ناسب النظم ذكره دون التفحص والتطلب، في هذا المقام. ﴿ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهُدْهُدَ﴾، والاستفهام البليغ هنا لم يكن عن عدم الرؤية ذاتها، بقدر ما كان منصبًا على انتفاء السبب المانع للرؤية؛ فإذا انتفى السبب انتفى الوجود؛ لذلك كان هذا آكد وأبلغ في هذا المقام العجيب! فكأنه يقول: لا سبب عندي يمنع من رؤية الهدهد من ساتر ونحوه لو كان موجودا!(٢٣).

وفي إثارة السؤال إشراك لمن حضر مقامه المهاب في النظر والإجابة، وكأنهم شهود حال، وهذا آكد للمقال والحال.. ثم جاءت ﴿أَم﴾ المنقطعة في هذا المقال لتقرر ما ترجح لديه من غيابه. بقوله: ﴿أم كان من الغائبين﴾ أي: بل كان من الغائبين.

ولا يفهم من نظم البيان لهذه العبارة أن أسرابًا أخرى من الطير ثبت غيابها؛ فهذا مدفوع؛ لأن من عادات القرآن الأسلوبية في مثل هذا المقام أنه لا يذكر صاحب الوصف مفردًا، وإنما يذكره مندرجًا ومشمولا بغيره في الوصف. من ذلك ما ورد في

شأن امرأة العزيز: ﴿إِنَّكِ كُنتِ مِنَ ٱلْخَاطِئِينَ﴾ [يوسف: ٢٩]، وفي شأن مريم ﴿وَكَانَت مِنَ ٱلْقَٰنِتِينَ﴾ [التحريم: ١٢]، وفي موضع مخاطبة الهدهد نفسه ﴿أَم كُنتَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾ [النمل: ٢٧]، فغياب طائر صغير كهذا في مملكة نبي كريم، وملك عظيم، دونما استئذان منه أو إعلام؛ يدرجه ضمن مجموع الموصوفين المهددين.

في قوله تعالى ﴿مَا لِيَ﴾ في الأسلوب العربي: مالك أو مالكم، أو مالهم، أو ما لفلان نحو قوله جل شأنه ﴿مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا عَلَىٰ يُوسُفَ﴾ [يوسف: ١١]، وقوله تعالى: ﴿مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا﴾ [نوح: ١٣]، وقوله تعالى: ﴿فَمَالِ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا﴾ [النساء: ٧٨]، وقوله: ﴿فَمَا لَهُمْ عَنِ التذكرة مُعْرِضِينَ﴾ [المدثر: ٤٩]، إلى غير ذلك من الآيات، وتأويل العدول هنا من الخطاب إلى الغيبة يحمل تعجّب سليمان عليه السلام من أنه لا يرى الهدهد استعظاما لغيابه دون استئذان، واتهاما لنفسه أنه قد يكون لم يدقق النظر وهو من هو؟، وكان القياس أن يقول ما للهدهد وهذا الأسلوب للتعجب(٢٤).

إذا كان هذا الأسلوب للتعجب كما يراه أهل البلاغة فهل كان سليمان عليه السلام يتعجب من حاله في عدم الرؤية ؟، أم من حال الهدهد في عدم الحضور؟.

وتأويل التعجب هنا المتلبس بالإنكار ينصب على عدم رؤية سليمان عليه السلام؛ إذ لا يقصد الاستفهام، إنما يستبعد أن يتخلف أحد من جنده عن مجلسه دون أن يرجع إليه، وهذا من حسن خلقه عليه السلام وسعة حلمه إذ أسند التعجب إلى نفسه، كيف لا يرى الهدهد وهو طائر ضعيف لا يملك أن يخرج عن طاعة سليمان والإذعان إلى أمره؟!.

وبالتالي فإن سليمان عليه السلام: كأنه قال أولًا: مالي لا أرى الهدهد الساتر ستره أو لسبب آخر ثم بدا له أنه غائب فأضرب عنه فأخذ يقول: أهو غائب(٢٥)؟

﴿لأُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لأَذْبَحَنَّهُ أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ﴾ في هذه الآية الكريمة يتوعد سليمان الهدهد كان له أن يغيب دون أن يستأذن، وقد رتب سليمان

عليه السلام الوعيد حسب ما يراه مناسبًا، فبدأ بخيار التعذيب وهو الخيار الأول وقد أقسم عليه؛ فاللام للقسم، ثم أكد الفعل بنون التوكيد الثقيلة وفي هذا توكيد للخبر بمؤكدين، وهذا لا يكون إلا إذا كان المخاطب منكراً، أو منزل منزلة المنكر ومخاطب النبي سليمان إما نفسه إن كان الحديث بينه وبين نفسه، أو حيث يسمعه الحاضرون معه من كبار جنده وخاصته.

وتنزيل المخاطب هنا منزلة المنكر إنما هو للتهديد والوعيد!، وتلك أدوات لدى من يتطلب حزمًا وعزمًا وقوة إنفاذ وذلك إن وضع الهدهد قبل معرفة السبب يوحي بالخروج عن الطاعة وعدم الامتثال للأمر فأكد الخبر هنا للإشعار بأهمية ما اقترفه الهدهد، ووقع فيه من خطأ.

ومثل ذلك ينطبق على الفعل «لأَذْبَحَنَّهُ»، ويلحظ تقديم العذاب على الذبح لأن الذبح نهاية المطاف وأخر الدواء؛ ولذا أكد العذاب بمفعوله المطلق ﴿عَذَابًا﴾ ثم نعته بقوله: ﴿شَدِيدًا﴾ أما الذبح فلا تفاوت فيه إذ الموت حالة واحدة فما احتاج أن يؤكده بمصدره، وفي اختيار الذبح بدلًا من القتل أو ما يؤدي معنى الموت من الألفاظ ما يوحي بشدة العقوبة ورهبتها، فالذبح يكون باقتياد المذبوح وقطع عنقه بكل اقتدار وتمكن، كما أن فيه تأويلاً يوحي بقوة سليمان عليه السلام وتمكنه من تنفيذ تهديده ووعيده، ومع هذا التهديد والوعيد وقوة السلطة وتمكن السلطان إلا أن العدل يأبى إلا أن يزين لسان سليمان عليه السلام فقال: ﴿أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ﴾، أي حجة ظاهرة قوية وهذا تأويل حال من أتاه الله الملك فعرف حق الله في ما يملك ومن يملك، فلا يؤاخذ على الخطأ حتى يعرف سببه، ويسمع قول المخطئ فإن وجد له عذرا عذره، وإن لم يكن نال جزاءه.

وفي هذه الآية ما يسمى بالمحاذاة وهي: «أن يجعل كلام بحذاء كلام، فيؤتى به على وزنه لفظًا وإن كانا مختلفين.. ومثله: ﴿لَأُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ﴾ فهما لاما قسم ثم قال: ﴿أَوْ لَيَأْتِيَنِّي﴾ فليس ذا موضع قسم؛ لأنه عذر للهدهد فلم يكن

ليقسم على الهدهد أن يأتي بعذر، لكنه لما جاء به على أثر ما يجوز فيه القسم أجراه مجراه، فكذا باب المحاذاة ..... وهذا ما يسميه أهل البلاغة بالمشاكلة(٢٦).

﴿فَمَكَثَ﴾ الميم والكاف والثاء حروف تدل على توقف وانتظار، ورجل مكيث: رزين غير عجول (٢٧) ، والتمكث والتلبث والتلوم والمكيث كأمر الرزين (٢٨)، والمكث: الأناة واللبث والانتظار.. والمكيث الرزين الذي لا يعجل في أمره والمكث الإقامة مع الانتظار والتلبث في المكان(٢٩). ومن خلال المعنى المعجمي للفظة مكث تظهر دقة الاختيار للفظة ففيها معنى الانتظار والأناة والتلوم والرزانة، وعدم العجلة، وهذه المعاني تتوافق ومكانة سليمان عليه السلام ومنزلته، فمع التهديد والوعيد الذي صدر منه إلا أنه لم يفقد رزانته، ولم تستفزه العجلة، بل لبث وانتظر حتى جاءه الخبر، ولا نجد لفظة تقوم مقام مكث وتؤدي معناها، وهذا من أسرار بلاغة اللفظ القرآني على اعتبار أن الهدهد يبرز ثقته في نفسه، «ووصف مكثه بقصر المدة للدلالة على إسراعه خوفًا من سليمان وليعلم كيف كان الطير مسخرًا له»(٣٠).

﴿أَحَطتُ﴾ الإحاطة مأخوذة من الحوط حاطه يحوطه حوطًا حيطة وحياطة: أي حفظه وتعهده.. واحتاط الرجل: أي أخذ في أموره بالأحزم واحتاط رجل لنفسه أي أخذ بالثقة.. والحائط الجدار لأنه يحوط ما فيه(٣١).

«ومن المجاز: أحاط به علما: أتى على أقصى معرفته»(٣٢).

«ففيه تنبيه لسليمان على أن في أدنى خلق الله تعالى من أحاط علماً بما لم تُحط به، فيكون ذلك لطفا في ترك الإعجاب والإحاطة بالشيء علماً من جميع جهاته(٣٣)، وقد حدث مثل هذا لموسى من بعد حين ظن في نفسه أنه أعلم أهل الأرض ومع ذلك دله الله على طلب العلم وحدده له ذلك بمصاحبة ومتابعة الرجل الصالح «الخضر » الذي جاء رده على موسى بقوله:(وكيف تصبر على مالم تحط به خبرا ؟) وقوله: (...إنك لن تستطيع معي صبرا).

وفي اللغة: «أصل المحيط المطيف بالشيء من حوله بما هو كالسور الدائر عليه يمنع أن يخرج عنه ما هو منه، ويدخل فيه ما ليس فيه»[٣٤]، فاستعمال لفظ الإحاطة هنا من الدقة المتناهية في أداء المعنى بحيث لا يرقى إلى مستواها سواها، وهي تتوافق مع موقف الهدهد الذي يحاصره التهديد بالعذاب الشديد، أو الذبح فكان لابد أن يكون لديه حجة بينةٌ تطفئ غضب سليمان عليه السلام، وتدفع الخطأ عن الهدهد بعد غيابه دون إذن، فلما كان الهدهد الطائر الضعيف يحيط بما لم يحط به سليمان صاحب الملك العظيم الذي علم منطق الطير وأوتي من كل شيء؛ فإنه يعد ذلك سلطانا مبينا للهدهد أي حجة واضحة تقيه سوء التعذيب والذبح، وهذا السلطان المبين من خيارات سليمان عليه السلام في حكمه على الهدهد: ﴿وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ﴾ النبأ محركة الخبر جمع أنباء، أنبأه إياه وبه أخبره»[٣٥] وقياسه الإتيان من مكان إلى مكان: يقال للذي ينبأ من أرض إلى أرض: نابئ، وسيل نابئ: أتٍ من بلد إلى بلد، ورجل نابئ، ومثله قال:

ولكن قذاها كل أشعث نابئ... أتتنا به الأقدار من حيث لا ندري

ومن هذا القياس النبأ: الخبر لأنه يأتي من مكان إلى مكان[٣٦].

ولعل هذا من دقة التعبير ﴿بِنَبَإٍ﴾ بدلاً من خبر، ففي لفظ ﴿نبأ﴾ ما يدل على صنائع النظم القرآني البديع؛ إذ يفيد خبرًا ذا شأن «وفائدة عظيمة يحصل به علم أو غلبة ظن»[٣٧]، فذكره في هذا الموضع من تجليات براعة النظم وحسن الأداء.. ومثل هذه الصور لمما يبعث على العجب الذي يقتضي إنكار ما يرد علينا لقلة اعتياده[٣٨].

ويؤل في الوقت نفسه بأن بعد المسافة هو الذي جعل الهدهد من الغائبين، كما يمكن تأويله بالتماس الهدهد العذر أمام سليمان عليه السلام – وفي هذا دقة عجيبة في اختيار اللفظة – ووصفه باليقين لتأكيد صحته مع بعد المسافة وغرابة الخبر.

والتأويل الأكثر تجاوزًا للمعيار هنا وصف حال الهدهد الذي أدرك من أحوال ملكة سبأ وقومها ما يدركه أعقل الناس وأكملهم منطقا وأذكاهم وأتقاهم، وكان ذلك عن طريق الإعجاز..

والحقيقة إنّ سنة الله في الخلق جرت على أن يكون للطير إدراك خاص والطير تتفاوت فيما بينها، ولكنه لا يصل إلى مستوى إدراك الإنسان، وإنّ خلقة الطير على هذا النحو حلقة في سلسلة التناسق الكوني العام، وأنها خاضعة- كحلقة مفردة- للناموس العام، الذي يقتضي وجودها على النحو الذي وجدت به.

﴿أَلَّا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ﴾ قال ابن عباس: يعلم كل خبيئة في السماء والأرض[٣٩]، «وسمى المخبوء بالمصدر، وهو يتناول جميع أنواع الأرزاق والأموال، وإخراجه من السماء بالغيث ومن الأرض بالنبات»[٤٠].

«أي يظهر ما هو مخبوء ومخفي فيهما كائناً ما كان وتخصيص هذا الوصف بالذكر بصدد تفرده تعالى باستحقاق السجود له من بين سائر أوصافه الموجبة لذلك؛ لما أنه أرسخ في معرفته والإحاطة بأحكامه بمشاهدة آثاره التي من جملتها ما أودعه الله تعالى في نفسه من مقدرة على معرفة الماء»[٤١].

إن في اختيار اللفظة هنا بما لها من معنى يؤوَّل بأن علم سليمان وغيره من خلق الله لا يصل إلى معرفة ما خبيء عنهم من مخلوقات الله، وأن الله تعالى هو الذي لا يخبأ عنه شيء في الأرض ولا في السماء كما أن في اللفظة ما ينسب القدرة على إخراج مخبوء علم دولة سبأ إلى الله تعالى فهو الذي وفق الهدهد إليه.

ثم إن في اختيار هذه اللفظة بجرسها الموحي بمعناها دليلا على الدقة العميقة فنطق الكلمة المختوم بالهمزة بعد نطق الباء يؤوَّل بمعنى الخبء حيث ينقطع النفس مع نطق الهمزة الذي يمتد إلى أعماق الصدر ومساربه.

﴿ قَالَ سَنَنظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾، «واقع السياق يقتضي أن يقال أصدقت أم كذبت، أو أصدقت أم كنت كاذبًا ولكن الدقة في التعبير كانت على ما ورد في الآية وذلك فهو أبلغ، لأنه إذا كان معروفا بالكذب كان متهما بالكذب فيما أخبر به فلم يوثق به»(٤٢).

وإيثار ما عليه النظم الكريم للإيذان بأن كذبه في هذه المادة يستلزم انتظامه في سلك الموسومين بالكذب الراسخين فيه، فإن مساق هذه الأقاويل الملفقة على ترتيب أنيق يستميل قلوب السامعين نحو قبولها من غير أن يكون لها مصداق أصلا، لاسيما بين يدي نبي عظيم الشأن لا يكاد يصدر إلا عمن له قدم راسخ في الكذب والإفك»(٤٣).

وفي هذا السياق ما يسمى في لغة العرب بالتعويض وهو: إقامة الكلمة مقام الكلمة فيقيمون الفعل الماضي مقام الراهن لقوله جل ثناؤه: ﴿ قَالَ سَنَنظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ المعنى أم أنت من الكاذبين(٤٤).

﴿ اذْهَب بِّكِتَابِي هَٰذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ﴾ يلحظ من فعل ﴿ أَلْقِهْ﴾ سكون الهاء مع أن القياس الكسر؛ نظرًا لوقوعه في أثناء الجملة، والقراء أبو عمرو وعاصم وحمزة بإسكان الهاء(٤٥).

ولم نجد من تناول هذا السكون من الناحية البلاغية وأظنه – والله أعلم – يؤوَّل بالتناسب مع مقام الحال؛ فسليمان عليه السلام في أشد الشوق لمعرفة صحة هذا الخبر الذي جاء به الهدهد، والأمر يتطلب السرعة في الإنجاز والبلاغة تراعي مقتضى الحال، ومقتضى الحال هنا يتطلب السرعة الفائقة، ومن هنا كان الفعل يصور بالحقيقة كيفية تنفيذ الهدهد لمهمة إيصال الكتاب وهي السرعة الفائقة، والاهتمام بموضوع إيصال الكتاب لا بكيفية إيصاله، وكأن في تحريك حرف الهاء بالكسر على ما يقتضيه القياس تأخيرًا لتنفيذ المطلوب.

المبحث الثاني
التأويل والإيجاز بالقصر والحذف في قصة الهدهد

الإيجاز مأخوذ من وجز الكلام وجازة ووجزا وأوجز: قل في بلاغة، أوجزه: اختصره[٤٦]، «وهو أداء المقصود من الكلام بأقل عبارات متعارف الأوساط»[٤٧]، أو هو «عبارة عن اللفظ القليل الجامع للمعاني الجمة بنفسه «[٤٨]، «ويعرف كثير من العلماء الإيجاز بأنه: «وضع المعاني الكثيرة في ألفاظ أقل منها، وافية بالغرض المطلوب مع الإبانة والإفصاح»[٤٩].

و«الإيجاز قسمان: إيجاز قصر، وإيجاز حذف، فالأول هو الوجيز بلفظه.. والقسم الثاني من قسمي الإيجاز إيجاز الحذف»[٥٠]، «لأن الكلام القليل إن كان بعضًا من كلام أطول منه فهو الأول وإن كان كلاما يفيد معنى كلام آخر أطول منه فهو الثاني»[٥١].

« ولا تظنن أنه لا يكون في الكلام إيجاز إلا إذا كان الكلام حكمة بديعة أو مثلا سائرا أو أجوبة مسكتة،.. إن الإيجاز مراتب كثيرة، فقد يبدو الكلام لأول وهلة ليس فيه شيء من الإيجاز ولكنك حين تتأمله وتعي طريقة نظمه وتدرك أسرار تركيبه لا تتردد في الحكم عليه بأنه من قبيل الإيجاز»[٥٢].

وفي النظم القرآني الكريم من خلال هذه القصة المباركة عدد من مواضع الإيجاز بنوعيه فمن إيجاز القصر: قوله تعالى على لسان الهدهد: ﴿ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ﴾، فللذهن أن يؤول ويتملى في كل ما لم يحط به سليمان عليه السلام وهو النبي الكريم الذي يعلم عظمة ملك الله وسعة الكون الفسيح الذي أبدعه البارئ عز وجل ومكنونات علم الله الجليل الذي يفتح به على من يشاء من خلقه ويحجبها عن من يشاء فإن الجملة تحمل إيجازًا بالقصر عبر عن معان غزيرة بلفظ يسير. والله أعلم.

ومنه قوله تعالى: ﴿وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ﴾؛ فقد «وصف ذلك العرش بالعظمة والهدهد يعلم أن سليمان عليه السلام سخرت له الجن فهم يعملون له كما قال تعالى: ﴿مَا يَشَاءُ مِن مَّحَارِيبَ وَتَمَاثِيلَ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَاتٍ﴾ [سبأ: ١٣]، إذ إنَّ كلَّ ما في ملكه يوحي بالعظمة ويشي بعظم قدر الملك بكل ما فيه ولما تعاظم الهدهد عرش ملكة سبأ فإن في وصفه بالعظمة ما يوحي بمعان غزيرة جدًا والسؤال هنا: ما سر هذه العظمة هل هي في مكوناته أم في هيئته أم في جماله أم غير ذلك؟

وفي قوله تعالى: ﴿الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ إيجاز قصر فكم من مخبوء في السماوات والأرض من الأحياء والجمادات مما لا يعلمه إلا الله، ولا يستطيع إخراجه إلا الله. إن لفظة الخبء تحمل في طياتها معاني كثيرة يتوسع فيها اللفظ إلى أمد بعيد، ففي كل مخلوق من مخلوقات الله جلت قدرته خبء لا يخرجه إلا الله تعالى، ويلحظ هنا التناسب بين ما أخرجه الله للهدهد من خبر تلك المملكة وملكتها، وبين وصف الله تعالى بإخراج الخبء في السماوات والأرض.

واشتملت هذه القصة على إيجاز الحذف بشكل لافت، ولعل تأويل ذلك أن أحداثها وأخبارها قامت على الاستعجال وسرعة الإنجاز، فالخبر المبهر الذي جاء به الهدهد وقع في نفس نبي الله سليمان كل موقع؛ فهو مشوق إلى أن يعرف خبر تلك الملكة وأحوالها، ومن هنا روعي في النظم الكريم وأداء المعاني الطول بما يفي من اللفظ مع حذف ما يمكن حذفه مما لا يخفي على المتلقي، ولقد روعي في هذا المقام حذف الجمل، وحذف الكلمات، بل روعي حتى حذف الحركة إشعاراً باستعجال الخبر، ولعل في ذلك دليلاً على اختزال أحداثٍ محوجة لمراحل وجهد ووقت؛ فجاء هذا التكثيف ليسارع بين صور الأحداث ويوجز لك النتيجة.

ومن إيجاز الحذف هنا قوله تعالى: ﴿اذْهَب بِّكِتَابِي هَٰذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَانظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ﴾ فالإيجاز في قوله: ﴿ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ﴾ أي تنح عنهم إلى

مكان قريب تتوارى فيه فانظر ماذا يرجعون» [٥٣]، وكذلك «يرجعون«لفظة تدل على كل ما يمكن أن يقوموا به من أراء وأفكار وتخطيط وردود وأفعال.

ومن إيجاز الحذف قوله تعالى: ﴿أَلَّا يَسْجُدُوا لِلَّهِ﴾ وعد عند بعضهم من الإضمار حيث يقول: «فمن إضمار الأسماء.. وفي كتاب الله جل ثناؤه: ﴿أَلَّا يَسْجُدُوا لِلَّهِ ﴾، بمعنى ألا يا هؤلاء اسجدوا، فلما لم يذكر هؤلاء بل أضمرهم اتصلت «يا» بقوله: ﴿اسجدوا﴾ فصار كأنه فعل مستقل»[٥٤]، ومع أننا لا نرى في هذا حذفًا بل هو كما جاء في تفسير الجلالين: ﴿أَلَّا يَسْجُدُوا لِلَّهِ﴾ أي أن يسجدوا له فزيدت «لا» وأدغمت فيها نون أن كما في قوله تعالى: ﴿لِّئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ الْكِتَابِ﴾[٥٥].

وتكمن بلاغة الإيجاز وفائدته من حيث إيجاز القصر: «أنه يدل على التمكن من الفصاحة، والملكة في البلاغة، وحصول ملاذ كثيرة دفعة واحدة.. «[٥٦]، مثلما جاء في قوله تعالى: ﴿... فلما رآه مستقرًّا...﴾، فقد حدثت المعجزة بانتقال العرش في صورةٍ خاطفة، دون تحديد للكيفية، وإنما ارتد إليه طرفه فوجدَه أمامَه.

وأما من حيث إيجاز الحذف ففائدته زيادة لذة الترقب والتعلق بالتوقع والتأويل، وسببه تأوّل استنباط الذهن للمحذوف ولما كان الشعور بالمحذوف أعسر كان الالتذاذ به أشد وأكثر وكان ذلك أحسن[٥٧].

المبحث الثالث
التأويل والبيانيات والبديعيات في قصة الهدهد:

مع أن هذه القصة القرآنية قصيرة، ومع أن السرد فيها يقوم على السرعة والإيجاز كما تقدم إلا أنها لا تخلو من إشراقات بيانية، وتحسينات بديعية وهكذا شأن هذا القرآن العظيم يظل لفظًا معبِّرًا مؤثرًا، ومعنى معجزًا في شأنه كله، قصصه وأحكامه، وتراكيبه وجمله، وحروفه، كيف لا وهو معجزة الله التي تحدي بها العرب أهل الفصاحة والبيان.

ومن أساليب البيان في هذه القصة الاستعارة في قوله تعالى على لسان الهدهد ﴿أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ﴾ فقد شبه تمكنه من العلم بحال مملكة سبأ بالإحاطة، أي علمت مالم تعلمه، ولما كانت الإحاطة مأخوذة من الحائط وهو السور المحيط بجميع الجهات الساتر الحافظ لما في داخله ناسب أن يستعار هنا للعلم لإظهار التمكن والتيقن من الخبر الذي جاء به الهدهد عن مملكة سبأ(٥٨).

أما المحسنات البديعية فمنها الطباق في قوله تعالى: ﴿ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ ﴾، وهذا يسمى طباق السلب وكذلك قوله تعالى: ﴿ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴾، وفي قوله تعالى: ﴿ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴾.

ومن المحسنات البديعية في هذه القصة ما يسمى بالجناس ومنه قوله تعالى: ﴿وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ﴾، وهذا الجناس بين اللفظين «سبأ»، و«نبأ» مما يستشهد به علماء البلاغة في القديم والحديث، وذلك لما فيه من خفة اللفظ وسرعة النطق به المتوافق مع أحداث القصة. يقول الزمخشري: وقوله: ﴿ مِنْ سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ﴾ من جنس الكلام الذي سماه المحدثون البديع وهو من محاسن الكلام الذي يتعلق باللفظ بشرط أن يجيء مطبوعًا أو يصنعه عالم بجواهر الكلام يحفظ معه صحة المعنى وسداده ولقد جاء هنا زائدًا على الصحة فحسن وبدع لفظا ومعنى. ألا ترى أنه لو وضع مكان بنبأ بخبر« لكان المعنى صحيحًا وهو كما جاء أصح لما في النبأ من الزيادة التي يطابقها وصف الحال»(٥٩).

وعده أحد المعاصرين من الجناس المزدوج؛ حيث يقول: وأخيرًا فإن العلماء أضافوا إلى الجناس لوناً سموه «المزدوج» أو المردد أو المكرر وهو يقوم على ترديد كلمتين متجانستين إحداهما مضمومة إلى الأخرى المتممة والمكملة لمعناها.. كقوله تعالى: «وجئتك من سبأ بنبأ يقين»(٦٠).

وقيده غيره بقوله: «وإذا تتابعت الكلمتان المتجانستان من أي نوع من أنواع الجناس المذكورة سمي جناسًا مزدوجًا أو مكررًا أو مرددًا»(٦١).

ومن البديع في قصة هدهد سليمان عليه السلام ما يسمى بتوافق الفواصل من ذلك قوله تعالى: ﴿أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ﴾، ﴿أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ﴾، وقوله تعالى: ﴿وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ﴾ إلى غير ذلك من الجمل البديعية.

الخاتمة

وهكذا تعد القصة القرآنية من أروع القصص أداء للمراد، ووفاء بالغرض؛ فالقصص القرآني ليس للتسلية والمتعة، وليس للإبهار والتشويق بقدر ما هو نبراس يستضاء بضيائه في الدعوة إلى الله تعالى، واستخلاص العبرة والفائدة من ورائه.

وفي القصص القرآني غرائب وعجائب، ولكنها حقائق وواقع، وليست أحداثها من نسج الخيال، ومن أعجب القصص في القرآن قصة سليمان عليه السلام مع الهدهد، فللطير لغة يفهمها سليمان عليه السلام كما علمه الله الحكيم العليم، وهذه القصة العجيبة تضم قيمًا بلاغية تقدم تأولاً للصور الثلاث المستخرجة وقد تحددت مستويات القصة على النحو التالي:

- صورة الربط، بمعنى أن الهدهد طير يتكلم ويقدر الأمور، وهنا إبراز لإدراك سليمان عليه السلام للعلاقة بين منطق الطير ولغته.
- صورة الكف، بمعنى أنَّ عقل الهدهد منعه من التغافل عما يضر بدين الله فلم تغلبه نزعات وشهوات وأهواء الطير التي بداخله.
- صورة الضبط، بمعنى أنَّ عقل الهدهد ربط على قلبه عندما رأى أهل سبأ يسجدون لغير الله فلم يقم بأي رد فعل يفسد الأمر وأبلغ الخبر إلى سليمان عليه السلام ليرى فيهم رأيه إيمانًا من الهدهد بأن القرار بيد الخالق عزوجل.

الهوامش

(١) مسرحية إغريقية للكاتب أريسطوفانِس، تعود إلى (٤١٤ ق.م)، حيث يُعاقَب «تيريوس» ملك تراقيا، بمسخه إلى هدهد بسبب اعتدائه على شقيقة (...) زوجته. ولربما وجد الأديب الإغريقي في الهدهد خير مسخ يمكن أن ينقلب إليه ملك، بسبب التاج الذي يعلو رأس الاثنين.

(٢) الراغب الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد: المفردات في غريب القرآن، دار القلم، الدار الشامية، دمشق بيروت، ط١، ١٤١٢هـ (مادة «أول»).

(٣) أبو منصور، محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي: تهذيب اللغة، بيروت ٢٠٠١م، ٣٢٩/١٥.

(٤) جمال الدين بن منظور: لسان العرب ط. دار صادر - بيروت (مادة «أول»).

(٥) أبو الحسين أحمد بن زكرياء بن فارس: معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام هارون ط. دار الفكر ١٣٩٩هـ (مادة «أول»).

(٦) لسان العرب، (مادة «أول»).

(٧) أبو عبد الرحمن، الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (ت ١٧٠هـ): كتاب العين، تحقيق: مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي ط. دار ومكتبة الهلال، (مادة «أول»).

(٨) الأزهري: تهذيب اللغة (مادة «أول»)، ولسان العرب (مادة «أول»).

(٩) أبو القاسم، محمود بن عمرو بن أحمد الزمخشري جار الله (ت ٥٣٨هـ): أساس البلاغة، تحقيق: محمد باسل عيون السود ط١ دار الكتب العلمية - بيروت ١٤١٩هـ (مادة «أول»).

(١٠) أبو عبد الله، محمد بن إسماعيل البخاري: الجامع الصحيح، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، مع شرحه فتح الباري، ط. المطبعة السلفية - كتاب الوصايا.

(١١) أبو جعفر، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي الطبري (ت ٣١٠هـ): تفسير الطبري= جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات الإسلامية بدار هجر ط١ دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان ١٤٢٢هـ (٧/٥ و١١-١٢ و١٥ و١٧).

(١٢) أبو العباس، تقي الدين أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني (ت ٧٢٨هـ) تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم ط. مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف - المدينة النبوية ١٤١٦هـ (٣٥/٥).

(١٣) أبو محمد، علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري (ت ٤٥٦هـ): الإحكام في أصول الأحكام، تحقيق: الشيخ أحمد محمد شاكر ط. دار الآفاق الجديدة - بيروت (د.ت) (٤٢/١-٤٣).

(١٤) نعيمة دريس: علاقة اللغة بالتأويل في النص الديني، مجلة الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة الأمير عبد القادر عدد (٣)، ص٤٤.

(١٥) عبد الغفار هلال: العربية خصائصها وسماتها، ص٥.

(١٦) عثمان أمين: فلسفة اللغة، الدار المصرية للطباعة والنشر والبحوث والحسابات العلمية، ١٩٦٥م، ص٥٨، ٥٩، وعبد الغفار هلال: العربية خصائصها وسماتها، ص٥.

(١٧) ابن الأثير، نصر الله بن محمد: المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، المكتبة العصرية، صيدا-بيروت: ١٤١١ه، ١٤٩/١-١٥٠.

[١٨] أبو هلال العسكري، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران: كتاب الصناعتين الكتابة والشعر، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٣،: ١٤٠٩ه، ص١٥٩

[١٩] بكري شيخ أمين: التعبير الفني في القرآن، دار الشروق، بيروت، ط٣، ١٣٩٩ه، ص١٨١.

[٢٠] ينظر: «دلائل الإعجاز» لعبد القاهر الجرجاني (ص٣٢-٣٣) مختصرًا من طبعة المراغي.

[٢١] مصحف دار الصحابة في القراءات العشر المتواترة عن طريق طيبة العشر الشيخ جمال الدين محمد شرف، دار الصحابة للتراث بطنطا، ط١، ١٤٢٥ه، ص٣٧٨.

[٢٢] انظر: محمد بن على الجرجاني: الإرشادات والتنبيهات في علوم البلاغة، دار نهضة مصر للطباعة والنشر، القاهرة، (د.ت)، ص١١٠.

[٢٣] مصحف دار الصحابة في القراءات العشر المتواترة عن طريق طيبة العشر الشيخ جمال الدين محمد شرف، ص٣٧٨.

[٢٤] انظر: محمد بن على الجرجاني: الإرشادات والتنبيهات في علوم البلاغة، ص١١٠.

[٢٥] أبو السعود، محمد العمادي الحنفي: تفسير أبي السعود، مكتبة الرياض الحديثة، الرياض، (د.ت)، ٢٥٢/٤.

[٢٦] انظر: بدوي طبانة: معجم البلاغة العربية، ص١٥٩ - ١٦٠.

[٢٧] أحمد بن فارس، أبو الحسين: معجم المقاييس في اللغة، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط٢، ١٤١٨هـ، كتاب (الميم)، ص٩٩٣.

[٢٨] الفيروز أبادي: القاموس المحيط، فصل الميم باب (الثناء)، ١٨١/١.

[٢٩] ابن منظور،: لسان العرب، ج ٤ مادة (مكث).

[٣٠] الرازي،: أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي، التفسير الكبير، دار إحياء التراث العربي - بيروت، ط٣، ١٤٢٠هـ، ١٩٠/٢٤.

[٣١] ابن منظور: لسان العرب، ٧٥٧/١ مادة (حوط).

[٣٢] الزمخشري: أساس البلاغة، مادة (حوط)، ص٩٩.

[٣٣] الرازي: التفسير الكبير، ١٩٠/٢٤.

[٣٤] أبو الهلال العسكري، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران: الفروق اللغوية، دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، (د.ط)، (د.ت)، ص٩٤.

[٣٥] الفيروز أبادي: القاموس المحيط، فصل النون باب (الهمزة)، ٣٠/١.

[٣٦] ابن فارس: مقياس اللغة، ص١٠٠٩ – ١٠١٠.

[٣٧] الراغب الأصفهاني: المفردات في غريب القرآن، ٦٢٢/٢.

[٣٨] ابن منظور: لسان العرب، ٥١/٩.

[٣٩] الصابوني، محمد علي: صفوة التفاسير، ١٠/١١.

[٤٠] الرازي: التفسير الكبير، ١٩٢/٢٤.

[٤١] يقال إنَّ الهدهد يستطيع رؤية الماء تحت الأرض والأمر في ذلك يحتاج إلى تثبت وعلى هذا بنى أبو السعود قوله.

(٤٢) الرازي: التفسير الكبير، ١٩٣/٢٤.

(٤٣) أبو السعود: التفسير، ٢٥٧/٤.

(٤٤) ابن فارس: الصاحبي، ص٣٩٤.

(٤٥) مصحف دار الصحابة في القراءات العشر المتواترة عن طريق طيبة العشر الشيخ جمال الدين محمد شرف، دار الصحابة للتراث بطنطا، ط١، ١٤٢٥هـ، ص٣٧٩.

(٤٦) ابن منظور: لسان العرب مادة (وجز)، ٨٨١/٤.

(٤٧) السكاكي، محمد بن علي: مفتاح العلوم، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط٢، ١٤٠٧هـ، ص٢٧٧.

(٤٨) الزركشي، أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر: البرهان في علوم القرآن، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركائه، ط١، ١٣٧٦هـ - ١٩٥٧م، ١٠٢/٣.

(٤٩) بكري شيخ آمين: البلاغة في ثوبها الجديد - على المعاني، دار الشروق بيروت: ١٤١٦هـ، ١٩٤/١.

(٥٠) السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين: الإتقان في علوم القرآن، الهيئة المصرية العامة، القاهرة: ١٣٩٤هـ، ٥٤/٢-٥٧.

(٥١) أحمد مصطفى المراغي: علوم البلاغة: البيان، المعاني، البديع، (د.ط)، (د.ن)، (د.ت)، ص١٨٣.

(٥٢) فضل حسن عباس: البلاغة فنونها وأفنانها علم المعاني، دار الفرقان للنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠٠٧م، ٤٩٥/١.

(٥٣) الطيبي، الحسين بن محمد بن عبد الله، شرف الدين: التبيان في البيان، دار الجيل، بيروت، لبنان، ط١، ١٤١٦هـ، ص٣١٤.

(٥٤) ابن فارس: الصاحبي، ص٣٨٦.

(٥٥) جلال الدين محمد بن أحمد المحلي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي: تفسير الجلالين، دار الحديث - القاهرة، ط١، (د.ت) ص٣١٧.

(٥٦) ابن القيم الجوزية، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد، شمس الدين: الفوائد المشوق الى علوم القرآن وعلم البيان، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٨هـ، ص٦٨.

(٥٧) المصدر السابق، ص٦٨.

(٥٨) الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، دار الكتاب العربي - بيروت، ط٣،: ١٤٠٧هـ، ١٤١/٣.

(٥٩) المصدر السابق، ١٣٩/٣.

(٦٠) بكري شيخ أمين: البلاغة العربية في ثوبها الجديد، ١٤٦/٣.

(٦١) بسيوني فيود: علم البديع دراسة تاريخية لأصول البلاغة ومسائل البديع. مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة، ودار المعارف الثقافية، الإحساء، ط٢، ١٤١٨هـ.

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم: مصحف دار الصحابة في القراءات العشر المتواترة عن طريق طيبة العشر الشيخ جمال الدين محمد شرف، دار الصحابة للتراث بطنطا، ط١، ١٤٢٥هـ.
- مصحف المدينة النبوية - مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف سنة ١٤٣٤هـ - المدينة المنورة.

(١) الإتقان في علوم القرآن لجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، الهيئة المصرية العامة، القاهرة: ١٣٩٤هـ.

(٢) الإحكام في أصول الأحكام لأبي محمد، علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري (ت ٤٥٦هـ)، تحقيق: الشيخ أحمد محمد شاكر ط. دار الآفاق الجديدة - بيروت (د.ت).

(٣) الإرشادات والتنبيهات في علوم البلاغة لمحمد بن علي الجرجاني، دار نهضة مصر للطباعة والنشر، القاهرة، (د.ت).

(٤) أساس البلاغة لأبي القاسم، محمود بن عمرو بن أحمد الزمخشري جار الله (ت ٥٣٨هـ)، تحقيق: محمد باسل عيون السود ط١ دار الكتب العلمية - بيروت ١٤١٩هـ.

(٥) الإيجاز شرح كتاب دلائل الإعجاز للإمام لعبد القاهر الجرجاني، صححه وعلق عليه: أحمد مصطفى المراغي، وراجعه: محمد عبده ومحمد محمود الشنقيطي ط. دار المكتبة العربية ومطبعتها ١٩٥٠هـ.

(٦) البرهان في علوم القرآن لأبي عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركائه، ط١، ١٣٧٦هـ.

(٧) البلاغة فنونها وأفنانها - علم المعاني لفضل حسن عباس، دار الفرقان للنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠٠٧م.

(٨) البلاغة في ثوبها الجديد - على المعاني لبكري شيخ أمين، دار الشروق بيروت ١٤١٦هـ.

(٩) التبيان في البيان لشرف الدين الحسين بن محمد بن عبد الله، الطيبي، دار الجيل، بيروت، لبنان، ط١، ١٤١٦هـ.

(١٠) التعبير الفني في القرآن لبكري شيخ أمين، دار الشروق، بيروت، ط٣، ١٣٩٩هـ.

(١١) تفسير أبي السعود لأبي السعود، محمد العمادي الحنفي، مكتبة الرياض الحديثة، الرياض، (د.ت).

(١٢) تفسير الجلالين لجلال الدين محمد بن أحمد المحلي وجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، دار الحديث - القاهرة، ط١، (د.ت).

(١٣) تفسير الطبري = جامع البيان عن تأويل آي القرآن لأبي جعفر، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي الطبري (ت ٣١٠هـ)، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات الإسلامية بدار هجر ط١ دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان ١٤٢٢هـ.

(١٤) التفسير الكبير لأبي عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي، دار إحياء التراث العربي - بيروت، ط٣، ١٤٢٠هـ.

(١٥) تهذيب اللغة لأبي منصور، محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، بيروت: ٢٠٠١م.

(١٦) الجامع الصحيح لأبي عبد الله، محمد بن إسماعيل البخاري، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، مع شرحه فتح الباري، ط. المطبعة السلفية.

(١٧) الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها لأحمد بن فارس، أبو الحسين، مكتبة ومطبعة دار إحياء الكتب العربية، (د.ط)، (د.ت).

(١٨) علم البديع دراسة تأريخية لأصول البلاغة ومسائل البديع لبسيوني عبد الفتاح فيود ط٢ مؤسسة المختار للنشر والتوزيع - القاهرة ودار المعارف الثقافية - الإحساء ١٤١٨هـ.

(١٩) علاقة اللغة بالتأويل في النص الديني لنعيمة دريس، بمجلة الآداب والعلوم الإنسانية - جامعة الأمير عبد القادر عدد (٣).

(٢٠) علوم البلاغة البيان المعاني البديع لأحمد مصطفى المراغي، (د.ط)، (د.ن)، (د.ت).

(٢١) الفروق اللغوية لأبي الهلال العسكري، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران، دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، (د.ط)، (د.ت).

(٢٢) الفوائد المشوق إلى علوم القرآن وعلم البيان لابن القيم الجوزية، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد، شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٨هـ.

(٢٣) كتاب الصناعتين الكتابة والشعر لأبي هلال العسكري، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١٤٠٩:٣هـ.

(٢٤) كتاب العين لأبي عبد الرحمن، الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (ت ١٧٠هـ)، تحقيق: مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي ط. دار ومكتبة الهلال.

(٢٥) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل لأبي القاسم محمود بن عمرو بن أحمد الزمخشري، دار الكتاب العربي - بيروت، ط٣: ١٤٠٧هـ.

(٢٦) لسان العرب لجمال الدين بن منظور: ط. دار صادر- بيروت.

(٢٧) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر لابن الأثير، نصر الله بن محمد، المكتبة العصرية، صيدا - بيروت:١٤١١هـ.

(٢٨) مجموع الفتاوى لأبي العباس، تقي الدين أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني (ت ٧٢٨هـ) تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم ط. مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف - المدينة النبوية ١٤١٦هـ.

(٢٩) معجم مقاييس اللغة لأبي الحسين أحمد بن زكرياء بن فارس، تحقيق: عبد السلام هارون ط. دار الفكر ١٣٩٩هـ.

(٣٠) مفتاح العلوم لمحمدبن علي السكاكي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط٢، ١٤٠٧هـ.

(٣١) المفردات في غريب القرآن لأبي القاسم الحسين بن محمد الراغب الأصفهاني، ط١ دار القلم والدار الشامية - دمشق وبيروت ١٤١٢هـ.